يكن كابوسا بل علما بتجربة ذات وطأة تفوق قدرتي على تحملها أو التعامل معها. أرى نفسي أدفع قطارا، استجمع كل قوتي لدفعه فأدفع. لا يتحرك بطبيعة الحال القطار، وإن اكتمل جهدي لدفعه إلى حدوده القصوى كأنني امرأة في الطلقة الأخيرة من وضعها، ولكن لا وليد يدفع من جانبه، ولا أمل معلقا في جسد صغير من لحم ودم. قطار من حديد لا يتحرك. يحدث ذلك في لمحة كأنني فتحت عيني ثم عدت لإغلاقهما، وفي لمحة كذلك أبصر نفسي أتشقلب في الهواء كأن الأرض تقمصّها مكر وشر فأنكرت جاذبيتها. أتشقلب في حركات عشوائية لا يحكمها سوى الخوف ووعي أرض غائبة. رأيت نفسي أدفع القطار مرتين، أما شقلبتي في الهواء فكثيرا ما تتكرر.

بعدها تذهب الصورة ولكنها لا تذهب تماما؛ لأن الاضطراب الشديد الذي تولّده يجعلني أمضي اليوم كله في ضواحيها كأنني أعيش في مدارها.

حين أكتب أرتاح، كأن الكتابة تبدد الكوابيس وتَحْكُمُ سَحْبَات الخيال، تتطلب الانتباه فأواليها بما تطلبه، أتبعها في حرص كما كنت أتبع أبي في الشارع وأنا طفل صغير، أخشى من غفلة ولو عابرة تضيِّعه وتضيِّع مني الطريق. ينهكني الانتباه الشديد، وعندما أنتهي من الكتابة أسكن، وأنام، ويكون نومي في الغالب عميقا، رغم أنه لا يطول. أكتب أكثر في الصباح الباكر وأيضا في المساء. لا أسمع أصوات العاملين في الشركات المتعددة القائمة في شقق العمارة، ولا صوت باب المصعد وهذا يرقعه في عنف، وذاك يدق عليه لاستعجاله، والبواب يصيح بصوت يصل إلى سكان الطابق السابع: «اقفل الباب!»، وولد في المنور ينادي ولا يتوقف حتى تسمعه أمه وتطل من السطح فينقل لها مطالبه، والمشادات في الشارع لأن سيارة دخلت عكس اتجاه السير، أو أوقفها سائقها في مجرى الطريق واختفى، أو لأن اثنين يتصارعان على مكان واحد يطمع كل منهما في ركن سيارته فيه، وقد يتعزز الصياح في الشارع بإسناد من السطح يتزامن معه بالصدفة فتدب خناقة بين جارتين أو